العدد (1720) السنة السابعة - الاربعاء (10) شباط 2010 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

إزالـة بعض التماثيل والنصب التذكارية من ساحات وشـوارع بغـداد..

ينبغي الحفاظ على الذاكرة الحضارية..

الجدل اثير من جديد في الشارع العراقي وبين الاوساط الثقافية حول موضوع ازالـة التماثيل والنصب التذكارية التي تعود الى حقبة النظام السابق . وقد كانت هيئة اجتثاث البعث قبل سنوات قد باشرت بأزالة كل التماثيل التي ترمز لشخص الدكتاتور صدام من شوارع وساحات بغداد وحتى المؤسسات الحكومية وفي كل المحافظات ، وتبعتها مرحلة اخرى في ازالة التماثيل والنصب التي ترمز الى تلك الفترة منها نصب الشخصيات التي كانت في السلطة في تلك الفترة ومن ثم النصب التي تجسد ملامح تلك الفترة من مشاهد الحروب والقتال وانتصارات الدكتاتور المزعومة .

قوس النصر

نصب اللقاء

وائل نعمة

فقد ازيل نصبا بلاط الشهداء والأسير العراقي في ساحة المستنصرية ، وازيل ايضا نصب المقاتل العراقي في ساحة باب المعظم، ونصب المسيرة في ساحة المتحف وجدارية التأميم عند مدخل وزارة التجارة ، وقد اثيرت بعض التساؤلات والاحتجاجات في تلك الفترة من المواطنين والمثقفين على اساس الفصل بين نصب وتماثيل تتعلق بشخصوص النظام السابق وبين القيم الفنية والنصب التذكارية التي ترمز الى العراق وتاريخه . وقد ازداد الجدل حينما قامت الحكومة المحلية مؤخرا في بغداد بأزالة نصب اللقاء وهدم نصفه الاسفل. والنصب قد اختلف القول حول رمزيته فمنهم من يقول أنه لا يرمز إلى البعث وهو من تصميم طبيب التجميل علاء بشير أواسط التسعينيات في الساحة التي كانت تشهد وصول حافلات النقل القادمة من الأردن وسوريا ما برر إطلاق اسم (اللقاء) عليه، وآخرون يقولون أنه تجسيد للقاء البعثيين وقيامهم بانقلاب ١٩٦٨، وآخرون يرون انه يعبر عن أمل لقاء العراقيين المغتربين. ويمثل النصب نحتا ضخما من الخرسانة لجدارين يشبهان ذراعين تميل إحداهما في اتجاه الأخرى.

و يجري الحديث الآن على ازالة النصب القائم في ساحة الاحتفالات وهو عبارة عن سيفين ضخمين يرسمان في الفضاء قوسا شاسعا تمسكهما قبضتان وإن القبضتين كانتا نموذجا لقبضتي صدام، وتحت السيفين خمسة آلاف خوذة لجنود إيرانيين وهي خوذات حقيقية جمعت من ساحات المعارك التي دارت بين الطرفين ، وقد اشترط صدام في وقتها على جامعيها ان تكون تلك الخوذ قد ثقبها رصاص الحرب وخلفت قتلى. وأقيم هذا النصب أثناء الحرب العراقية الإيرانية. وكانت الساحة الواسعة تحت السيفين سميت بساحة الاحتفالات.

خلاف الأطراف

الخلاف يتوسع بين طرفين ، الأول يراها نصبا وتماثيل أصبحت من التراث الوطني العراقي فضلا عن جانبها الجمالي في المدن العراقية مثلما يقول راضي علي طالب معهد الفنون الجميلة «أنها ترمز إلى مناسبات ومفاهيم وطنية وأن أزالتها جاء ت بضغوط من أطراف إقليمية ومن بعض دول الجوار وفي موجة تعصب ضد وجود جميع النصب التراثية في العاصمة بغداد». والبعض الأخر يرى ان قرار الأزالة صحيح وضروري، فهذه النصب تعتبر من مخلفات نظام صدام الدكتاتوري الذي أراد بها تجسيد مفاهيم تخص الحزب الحاكم آنذاك ، وهي تمت بصلة لذاكرة ذلك النظام .

احمد عبد الأمير ماجستير في أكاديمية الفنون الجميلة يقول «أن إمكانية إبقاء هذه النصب مع إضفاء تأويل جديد أكثر انفتاحا من دلالات الايدولوجيا البعثية أمر صعب جدا لذلك أرى من وجهة نظري بأن يجب إزالتها».

الاعتداء على التماثيل

في الجانب الآخر يقول المهندس المعماري بلال عصام ان ازالة بعض النصب التذكارية او التعرض لها بالتخريب لم يكن منهجاً حكومياً دائما ، فقد تم الاعتداء من قبل بعض الجهات المجهولة على عدد من النصب والتماثيل الفنية، التي لا توحي الى البعث وثقافته بشيء، فقد سرق تمثال عبد المحسن السعدون (رئيس وزراء عراقي في الحكم الملكي) من منصته الخاصة في وسط شارع السعدون ببغداد، ولم تتم اعادته ابدا ، ما دعا احد الفنانين العراقيين إلى انجاز نسخة بديلة لهذا التمثال ، ورغم انها نسخة من الفايبر كلاس وليست بجودة التمثال الأصلي، إلا انها تعطي لدى المارة الانطباع نفسه للتمثال الاصلي، وعلى الاغلب لم يكن لسراقه أي خلفيات سياسية، وانما كانوا يسعون لتقطيعه وبيعه كمعدن.

وشاركه بالرأي سجاد محمد مهندس مدني ، حيث قال ان هذا الأمر حصل مع الكثير من التماثيل الصغيرة والكبيرة، والتي سرقت من أماكنها مع الاشهر الاولى لسقوط النظام البعثي، كما رفع مجهولون تمثال الأم العراقية من مدخل مدينة الصدر وكانت الدعوى لرفعه انه يجسد مفاتن أنثوية تتعارض مع الاخلاق الدينية. واستطاع فنانون شباب العثور على هذا التمثال وانقاذه من أحد المصاهر في اطراف العاصمة، وتمت اعادته، لا إلى مكانه الأصلي، وإنما الى مدخل بناية وزارة الثقافة العراقية، حيث مكانه الآن، ومازالت جرار تمثال (كهرمانة والأربعين حرامي)، والذي انجزه الفنان العراقي محمد غني حكمت، تتحطم يوماً بعد آخر بسبب عبث العابثين، دون ان تكون هناك أي إجراءات لحماية هذا التمثال الجميل، والذي غدا جزءا من هوية منطقة الكرادة في بغداد. وكانت أمانة بغداد قد أقدمت قبل أشهر على عمل غير مهني بطلي التمثال باللون الذهبي، من دون استشارة صاحب التمثال، او اخذ رأي المتخصصين، الأمر الذي احدث ضجة في الوسط الفني وفي وسائل الإعلام، انتهت بأن عادت أمانة بغداد وأزالت اللون الذهبي وأعادت التمثال الى وضعه السابق.

فيما يقول طالب الفنون الجميلة احمد عبد الأمير «على الأغلب قامت جهات أصولية بتفجير نصب أبي جعفر المنصور (الخليفة العباسي)، وسط حي المنصور، وقام آخرون بتحطيم او تخريب بعض التماثيل التي تجسد رموزاً ثقافية وإبداعية تاريخية ، وهو ما يفسر من قبل الكثيرين على انه احد نواتج الفوضى الأمنية، وتسلط الجماعات المسلحة المختلفة على الشارع العراقي. ومازال نصب الحرية، شاخصا وسط ساحة التحرير ببغداد، هذا النصب الفريد من نوعه في العالم العربي، والذي أنجزه الفنان العراقي الكبير جواد سليم قبل نصف قرن تقريباً، ولكن القلق يساور الكثير من المثقفين العراقيين حول مستوى الحماية الموجودة لهذا النصب من أي اعتداء محتمل قد يطيح به، خصوصا إذا علمنا أن القوالب الأساسية التي صبت بها قطع النصب الأربعة عشر اختفت، وليست هناك أي إمكانية لإعادة صب هذه القطع في حال تحطمها.

نحاتون وتشكيليون : علينا ان نميز بين القيم الفنية وبين الرموز الصدامية

نصب النسور

لماذا لا يزيلون كل شيء؟

بينما يقول الأستاذ حامد العزاوي (مدرس تاريخ متقاعد) « انهم يزيلون النصب والتماثيل التي بناها الدكتاتور صدام ، اذا لماذا لا يزيلون الجسور التي بناها صدام حسين ؟ ولماذا لا يزيلون المستشفيات والمراكز الصحية التي بناها ؟ ولماذا لا يزيلون المساجد والجوامع ؟ ولماذا لا يزيلون القصور (التي يتمتع برفاهيتها) السياسيون والأحزاب ؟ ويرى الأستاذ حامد بأن الجواب بسيط لأن هناك أطرافاً تدفع بهذا الاتجاه وتريد ذلك ، ويعتقد بأن ازالة نصب يمثل شخص صدام شيء وإزالة نصب تاريخي شيء آخر.

في ما يرى كاظم عارف موظف في وزارة الثقافة بأن من المفروض إزالة كل هذه التماثيل والنصب والرموز المريضة التي تذكرنا بالمرحلة السابقة من كل أنحاء العراق . ويعتقد كاظم بأن هذا العمل معمول به في كل انحاء العالم حيث أزيلت الكثير من التماثيل في الدول الاشتراكية والدول التي كانت تحكم من قبل الدكتاتوريات شواهد كانت تشير الى تلك المرحلة مثل روسيا واسبانيا ورومانيا وغيرها من الدول. وأضاف « كما ان هناك أمراً آخر وهو الأموال الطائلة التي أنفقت على هذه التماثيل فهي أموال الشعب المظلوم فهذه التماثيل تعود الى الشعب وليس إلى شخص آخر «.

التاريخ لا يرحم !

ومن جهة أخرى يقول المحامي راجح العكيلي «يجب إزالة النصب والتماثيل كافة التي تمثل شخص النظام السابق وبدون تأخير أما النصب والتماثيل التي تمثل جزءاً من تاريخ العراق فيجب الإبقاء عليها من أجل تذكير الأجيال القادمة بما اقترفته أيادي وأفكار النظام الديكتاتوري السابق، حيث سيبقى التاريخ شاهداً علينا والتاريخ لا يرحم». ويضيف «ففي فرنسا نلاحظ وجود قوس النصر والذي اقيم منذ عهد نابوليون بونابرت مازال شاخصا ولحد الآن، علماً بأن نابوليون قد ساق فرنسا الى الهلاك، وفي ألمانيا فإن مطار برلين الدولي هو بالأصل المقر الرئاسي لهتلر والذي كان شديد التحصين في تلك الفترة وهو في الوقت نفسه كانت تقام فيه الاستعراضات العسكرية والخطب التي كان هتلر يلقيها حيث أبقت الحكومات الألمانية المتعاقبة على التصميم الأساسي للبناء ويمثل حاليا ثاني أهم مطار دولي في ألمانيا علما بان جولات سياحية تقام بصورة مستمرة ودورية للسياح داخل أركان هذا البناء ويتم التركيز على طبيعة البناء الأصلية بالإضافة الى الإشارة الى مكاتب هتلر ومنصة الخطابة وجميعها تشير الى تاريخ تلك الفترة، ومن هذا المنطلق يجب الحفاظ على هذه النصب وباقي مقتنيات النظام الدكتاتوري السابق وجمعها في متحف واحد (كأن تكون ساحة الاحتفالات) وعرضها للأجيال كافة كي تكون شاهداً مستمراً على الأفعال الإجرامية لذلك النظام البائد.

الإزالة بالتأويل

فيما يقول كامل مدحت (مجلس السلم والتضامن) « من وجهة نظري يجب ازالة كل التماثيل والنصب التي تتعلق بشكل مباشر وبما لا يقبل الشك بالفترة السابقة و بأنها تمجد او تشير او ترمز إليها ، فهذه التماثيل تشير الى حقبة الفاشية والدكتاتورية ويجب ان لا تبقى موجودة في اي من ساحات بغداد او الشوارع .» ومن جهة أخرى يشير الأستاذ كامل بأن سوء الأداء في إدارة مسألة إزالة النصب والتماثيل والاعتماد على التأويل في انها ترمز لشيء محدد او التأويل على أسس غير فنية وهدمها على هذا الأساس سيجعلنا نهدم ونضيع قيماً فنية كبيرة . فيجب ان تكون الإزالة على أساس الدلالة الواضحة دون اعتماد التأويل فيما ترمز هذه التماثيل لان إزالتها على اعتماد التأويل يكون عملاً متسرعاً وغير مهني .

لا للهدم العشوائي

في حين أوضح عقيل البصام (منظمة الملتقى العراقي) بأن هدم وإزالة هذه التماثيل والشواهد هي من ناحية تشير الى العهد البائد وترمز الى الظلم ، ولكن من جانب اخر هناك قيمة فنية وهناك أشخاص عملوا وتعبوا في اخراجها الى الحياة ويجب ان لا يغبن حق هؤلاء . ويعتقد الأستاذ عقيل بأن ازالة هذه الشواهد يجب ان يكون بشكل تنظيمي وليس بشكل عشوائي .

ويرى الاستاذ البصام بأن هذه التماثيل ربما ستكون دلائل ادانة للنظام البائد ودالة على الظلم الذي تعرض له الشعب العراقي فإبقاء البعض منها سيذكرنا بتلك الفترة وبالمقابل سيكون إدانة له ، ويمكن للناس ان تعرف كل التفاصيل وكل الحوادث التي كانت موضوعة في هذه النصب.

وبكلمة اخيرة قال « نحن ضد الهدم العشوائي «.

أخطاء الماضي !

فيما قالت منال بطرس من مكتب الأمم المتحدة لمساعدة العراق « لقد اطلعت على تجارب الكثير من الدول في مجال الحفاظ وازالة التماثيل ، ومشكلتنا نحن في العراق نخرب هذه الذاكرة العراقية بيدنا ، وحتى لو كانت هذه التماثيل تحمل ذكرى غير طيبة ، فعلينا ان نذكر حقوق العاملين عليها وليس فقط ان نسلط جام غضبنا على من امر بإقامتها ، وفي بلدان اوربية كثيرة قد رفعوا بعضا من هذه الرموز من الشوارع والساحات ولكنهم لم يهدموها بل وضعوها في متاحف وفي اماكن خاصة وبدأوا بدعوة الناس إليها للتعرف على تلك المرحلة بايجابياتها وسلبياتها ، فلا مانع في ان نخطو مثل هكذا خطوة في العراق ونضع هذه الشواهد في المتاحف ونطلع الناس على الحقبة السيئة التي كنا نعيش فيها. ومن جهة اخرى قالت « لماذا نعيد اخطاء الماضي لماذا لا نتعلم من الأخطاء بدلاً من تكرارها ، لماذا لا نتعلم من الجرح الذي سببه النظام السابق حينما هدم نصب الجندي المجهول القديم وهو ليست له علاقة بنظام او حكومة ولكنه جهل بالفن وبالتراث والتاريخ ،فنحن علينا ان لا نكرر تلك الاخطاء «. وتضيف « يجب ان نذكر الناس ونقول لهم ان هذه التماثيل كانت كلها بأوامر النظام الدكتاتوري والكثير منها شيدت لشخصه ومنع الادباء والمثقفين والوطنيين من ان يذكروا في تلك المرحلة وفي الوقت نفسه لن نهدر حقوق من عمل فيها .

لا يسمعنا أحد !

في حين قال النحات نداء كاظم أن اللجنة المشكلة من قبل رئاسة الوزراء والتي أخذت على عاتقها إزالة هذه التماثيل والنصب ترتكب خطأً تاريخياً بإزالتها بعض القيم الفنية دون ادراك ودون علمية ومهنية وهم قد أزالوا كل شخص مختص ومهني وبدأوا يتحكمون بهذه اللجنة بشكل كيفي وراحوا يحرقون الأخضر واليابس ولا يسمحون لاي احد بالتدخل او ابداء الرأي او حتى الاشارة لهم بأي ملحوظة ، فكانت هذه اللجنة تحوي نحاتين وفنانين ومن اتحاد الادباء ولكنهم اخرجوا . ويضيف « ان ازالة النصب الرائع لخالد الرحال في ساحة المتحف كان عملاً خاطئاً لانه كان الممكن ان يزال تمثال صدام فقط من النصب ويبقى النصب على حاله دون تغيير لان الباقي يشير الى رموز آشورية وعراقية تاريخية وليس الى شخص صدام حسين .

وفيما يخص نصب اللقاء يقول النحات نداء « هذا النصب يشير الى لقاء البعثيين مع بعضهم في تلك المنطقة سنة ١٩٦٨ واتفاقهم على القيام بالانقلاب على عبدالرحمن عارف ، فيمكن تغيير ما كان يرمز له هذا النصب من دون ان يهدم « . وفيما يتعلق بنصب السيفين في ساحة الاحتفالات فيقول عنه « قد أثير موضوع إزالة هذا النصب في الفترة الاولى لسقوط النظام ولكن لم يزل لأسباب كثيرة ، فهذا النصب ثروة كبيرة لان اليدين كانتا يدى صدام حتى الوشم المرسوم على يدي صدام كان موضوعاً بالنصب لكنها جلبت من بريطانيا و السيوف من مادة (الستل ستيل) وجلبت من المانيا لذلك هذا العمل كلف الدولة مليارات فمن غير المنصف ان نزيلها بل ممكن ان يصار الى تداخل فني وتغيير بعض الإشكال في هذه الرموز حتى تتناسب مع المرحلة الجديدة .

وعن سؤالنا له حول إمكانية الاعتراض او أبداء أي رأي من قبل المختصين حول التنظيم الصحيح لعملية الإزالة، أجاب « ان اللجنة لا تسمع كلامنا ولا تسمح لنا بإبداء الرأي».

منظمات المجتمع المدني : نقف ضد إزالة النصب التذكارية بشكل عشوائي

الاطاحة بابوجعفر المنصور

شواهد وموروثات شعبية

يقول الشاعر والتشكيلي سبتي الهيتي بأن النصب التي تشير الى فترة الزمن الصدامي وفترة الحكم الدكتاتوري والتي يكون وجودها اهانة الى أرواح الشهداء وتجريحاً بكرامة الشعب يجب ان تزال وترفع ، لكن هناك تجارب في دول العالم استثمرت هذه التماثيل والنصب بتعريف الناس والسياح بمساوئ تلك الفترة ومراحلها وكيف عانى الشعب وكيف كانت الظروف، فهذه التماثيل هي شواهد حقيقية وتعبير عن وقائع سياسية وتاريخية والبعض منها يحمل موروثات شعبية لا يمكن التعدي عليها ، فتمثالا شهريار وشهرزاد و كهرمانة من الموروثات الشعبية وتدل على مرحلة من مراحل تاريخ وثقافة العراق وهي ترتبط مع مشاعر الناس وذاكرتهم

واستذكر التشكيلي سبتي الخطأ الذي ارتكب حينما قامت الجمهورية في العراق حين رفعت تمثال رئيس وزراء بريطانيا (مود) الذي كان قرب السفارة البريطانية في الشواكة، ففي اثناء الاستعمار البريطاني وضعت بريطانيا تمثالاً لرئيس وزرائها لكن بعد اقامة الجمهورية في العراق رفع هذا التمثال وكان من الخطأ رفعه لانه كان جزءا من الذاكرة العراقية ويمثل فترة يجب التعريف بها واكبر الشواهد هي التماثيل ، وكذلك الحال مع رفع تماثيل الملك فيصل من الشوارع ، فالقيم الفنية سواء كانت نحتا او رسما او شعرا فكلها تاريخ وشاهد حي على فترة كانت موجودة ويجب تدوينها لإزالتها مهما كانت تحمل من سيئات ، فكان من باب اولى ان تجمع هذه التماثيل وتوضع في متاحف ويكتب في أسفلها المرحلة التي كانت تمثلها .

وأوضح بأن ازالة هذه التماثيل بشكل غير مدروس سيكون له مردود سلبي على الفن بشكل عام وخصوصا ان بعض التماثيل فيها إيحاءات وطنية وآيات قرآنية وان إزالة هذه النصب التي لا تهين كرامة الشعب ستكون في مصلحة السياسيين وليست بمصلحة الفن والفنانين .

نصب محصن!

في حين تقول التشكيلية كريمة هاشم أنها تقف مع ازالة هذه التماثيل والنصب والتي تشير بشكل مباشر الى الحكم الصدامي واستبدالها بتماثيل ونصب منيعة ضد التقلبات السياسية والأنظمة السياسية وتبقى صامدة لا تتغير مهما تغيرت الظروف شبيهة بنصب الحرية الذي لم يتبدل أبداً بالرغم من تغير الحقب الزمنية والأنظمة السياسية لان هذا العمل يحمل قيما فنية وإنسانية ووطنية لا ترمز لشخص او تمجد نظاماً بل انها تشير الى العراق .

وتفضل التشكيلية كريمة الاتصال مع الفنانين أنفسهم الذين قاموا بإنشاء هذه التماثيل والطلب منهم ان يقدموا رأياً او استشارة او ان يغيروا ما يستطيعون تغييره ان تكون لهم معالجات في المكان نفسه وتحويل هذه التماثيل إلى مدلولات إنسانية ووطنية لان الهدم عمل غير فني وغير حضاري، اذا كان الأمر هو ازالة النصب التذكارية فقط فلماذا اذا تبقى تماثيل السياب وشهريار وكهرمانة فهذه التماثيل تشير الى حياة العراقيين والى نضالهم طوال الحقب المختلفة . ويجب أن نعطي احتراماً وتقييماً لشخص النحات والفنان الذي أقام التمثال او النصب لأنه أكيد كان قد أمر بأن يصنع هذا التمثال او ذلك النصب .

تداخل جراحي فني !

اما النحات موفق مكي فيقول « انا كنحات رأيت من الممكن ان يصار الى تدخل فني في هذه التماثيل والنصب التذكارية حتى نحافظ عليها ونحافظ على حقوق المهندسين والمصممين والعمال ممن شاركوا في انجازه وان الهدم هو جرح للفنان وحالة مأساوية تصيب الفن وبدلا من ان يصبح الأمر سياسيا ويخضع الى الهيمنة السياسية لان السياسي والسياسة تتدخل في كل الجوانب ، لكن يجب ان تحيد هذه القيم الفنية عن السياسة.

ويضيف « ربما يكون نصب اللقاء للطبيب علاء بشير غير محسوب على النحاتين ولكن هذا نصب فني وعلينا ان نعمل على تغييره لأهدمه.ويرى النحات موفق بأن يجب اعادة النظر في هدم هذه القيم الفنية وان لانعيد تجربة النظام الأسبق حينما اخرج رفعت الجادرجي من السجن وأمره بهدم نصب الجندي المجهول «.